

الديكات

للاستاذ عبد الفتاح المازني



أقصوصة مصرية:

على ذلك فأقبلت على السيارة تريد أن تأخذ منها حقيبتها وقبعها وإذا بصوت يقول لها :
« اسمحي لي . . »

فالتفت مذعورة فما سمعت وقع قدميه وهو مقبل عليها ، ولا رأيته وإن كانت قد دارت بعينها في المكان ونفضته قبل أن تنوى الرجوع إلى « الكشك » . ولم يسألها الرجل شيئاً ولم ينظر إليها بل انطرح على الرمل بثيابه الأنيقة بعد أن ألقى طربوشه في السيارة وراح يجرف الرمل بيديه من خاف المجلة وفدامها . ولما فرغ من ذلك ووسع للمجلة نهض ومشى مطرقاً ينظر إلى الأرض كأنما يبحث عن شيء ، ثم انحنى وتناول حجراً كبيراً ولوحاً من « الصاج » وعاد بهما فوضع الحجر خلف المجلة وال لوح أمامها وتحتها ليكون دورانها عليه لا على الرمل ، ثم نهض مرة أخرى وقال :
« أظن هذا يكفي . . فلنجرب على كل حال »

فقلت : « أشكرك . . لا أدري ماذا كنت أصنع لو لم تجدني ؟ »

فأشار بيده وقال : « أجلي الشكر حتى أستحقه . . إن المجلة المسكينة لا تزال غائصة فلننقذها أولاً »

ومضى إلى آخر السيارة وقال : « أدري

وقفت « جليلة » حائرة لا تدري ماذا تصنع ، فقد انفرزت إحدى المجنتين الخلفيتين في الرمل وأبت أن تخرج منه وعجز المحرك عن جذبها ، بل كانت المجلة تزداد غوصاً كلما حاولت نزاعها ، وكانت الشمس قد مالت إلى المنيب ولم يبد أحد في الأفق ، وكان « الكشك » الذي وقفت عنده منذ لحظة تشرب « الكازوزة » يبعد مسافة كيلو ونصف أو اثنين ، فليتها ما جاوزته إلى هذا المكان القفر . . . ولكنها أرادت أن ترى الطائرة الشراعية من مكان قريب ، والأرض بعد « الكشك » غير ممهدة ، ولكن غناء السير فيها محتمل ولا خوف من النوص ، وقد طوفت من قبل في أرجاء هذا الفضاء الرحيب فهي تعرف صلابة الأرض ولا تخشى رخاوتها . غير أن الحظ خانها في هذه المرة فأكادت تقف بالسيارة وتنأى عنها قليلاً ثم ترجع حتى ألقت المجلة قد غاب نصفها في الرمال الخائنة ، وكان تلاميذ الطيران الشراعي يميدين عنها بعد « الكشك » ؛ فهل تترك السيارة وتعود أدراجها إلى الكشك لتلمس من صاحبها المعونة وتسأله أن يدعو إلى نجبتها بمض خفرائه ؟ لم يبق من هذا مفر على ما يظهر وإلا صار خطبها أدهى بعد الغروب . وصح عزمها

المحرك وسيرى بها وسأدفعها أنا من الخلف «
فعلت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة
أمتار وزلت منها متهللة الوجه فصاح بها : « لماذا
وقفت ؟ . هل حدث شيء ؟ »
قالت : « لا ... إنما جئت لأشكرك ... »
ففرح يده ومد يدها إليها وقال : « آه صحيح .
صار الشكر الآن واجباً . أليس كذلك ؟ . »
فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه
يريد شكراً وأنه كان ينتظر منها أن تمنحني عنه
بلا كلام
وقالت وهي تبسم له - في عينيه - :
« ألا تريد أن أشكرك ؟ »
فقال وهو ينفض الرمل عن ثيابه : « كلا ...
إنه دين قديم أؤديه ... بمضه على الأقل »
ففاضت الابتسامة وقالت مستغربة : « دين ؟ .
لي أنا ؟ . ولكني لا أذكر ... أنى أعرفك ...
لا مؤاخذه ! »
قال : « صديقي حين أقول لك إنه يسرني أن
أراك ناسبة ... إنها ذكرى خلية ألا تتبر في
نفسك إلا الامتماض والنفور بل المقت ...
فالحمد لله »
فدأت منه مقدار خطوة وقالت : « ولكن
أرجو أن تريحي ... هل تعرفني ؟ »
قال : « أعرفك ... أظن ذلك ... وإن كنت
لا أكتعك أنى نسيت اسمك ... انتظري (ورفع
كفه الكبيرة الغليظة الى جبينه) اسمك ياستي ...
غريب ! ! تبقى الصورة كل هذه الأعوام ويذهب
الاسم ... أوه جما ... جيداً ... وجدته ! وجدته ! .
جيلة ... أليس كذلك ؟ »

فصاحت : « نعم . نعم . ولكني آسفة لأنى
لا أذكرك أبداً ... لا صورتك ولا اسمك »
فقال بابتسام : « انهما جديران منك بالنسيان »
فألحت عليه أن يذكر اسمه فقال : « هذا اغز
سأترك لك حله وأنت عائدة »
فابتسمت وقالت : « ألا تخشى أن أشغل به
عن الطريق وما فيه فنحدث لى حادثة ؟ »
فقال : « صحيح . صحيح . إذن لم يبق مفر
من التضحية ... سأخسر ما صرت جديراً به من
الشكر وأسترد سخطك القديم »
فسألته وهي تضحك : « هل كنت فظيماً
إلى هذا الحد ؟ »
فقال : « ستمرفين مبلغ فظاى حين تعرفين
اسمى . . مراد البارونى »
فأطرقت وقالت على نهل : « مراد . . .
البارونى ؟ (وهزت رأسها) كلا . . إن ذا كرتى
لا يحتاج فيها شيء . . آسفة »
فقال وهو يضحك بدوره : « أما أنا فان
ذكراك يفسر لها بدنى فما أستطيع أن أنسى أنك
صببت على ملء قرتين من الماء فى الشتاء . .
سأطت على خرطوم الحديقة وأطأقت على ماء . .
أهذه ذكرى تنسى ؟ . . ألسنت معدوراً إذا ظلت
متذكراً . . ؟ »
فدأت منه وقالت بصوت خافت كالهمس :
« مراد ؟ . . صحيح ! ! »
فقال : « وكنت ظالمة لى . . »
فقالت : « كلا ... لقد تذكرت الآن ...
فقد وضعت لى دودة ميتة فى قفاى ... الحق أنك
كنت فظيماً »

وجدت لى عملاً . . في تجارة رابحة والحمد لله . . .
وأنت ؟ . . »

قالت : « أوه . . كبرت مثلك ... »

فقاطعها وقال : « كلا . . إنك لم تتغيرى ...
لو كان هنا دود لما خطر لى وأنا أنظر إليك إلا أننا
ما زلنا طفلين ولهممت بأن أضع لك واحدة في
قفاك »

فضحكت وقالت : « لقد صرت مهذباً جداً ... »

لم يبق شيء من ذلك الطفل اللعين ... غريب ...
أعنى أن نلتقي هنا هكذا بعد كل هذه السنين ...
ماذا كنت تصنع ؟ . أعنى هنا »
قال : « أتعشى ... للرياضة »

فتنهت وقالت : « إذن لا أقل من أن أحملك
مى في السيارة »

وقال وهو يركب معها مسروراً : « ما قولك ؟
نحتفل بهذا اللقاء الذى لم يكن لى ولا لك في حساب
بالعشاء تناوله في محل الحائى . . هه ؟ »

فابتسمت لنفسها في مرآة السيارة وأصاحت
شمرها الذى عبث به النسيم ثم التفتت إليه وهزت
رأسها أن نعم ! ثم انطلقت تحطف بسيارتها الأرض

ولم يكن في جليلة خفة أو طيش ولكنها
كانت فتاة وحيدة مدالة ورثت عن أبيها شدة
القلب واستقلال الطبع ، وعن أمها سرعة الاجابة
إلى دواعي الخير . وقد مات أبوها قبل سنوات فلم
يبق لأمها سواها ولم تهمل تربيتها ولكنها كان
ينقصها حزم زوجها وحكمته ، فألقت لها حباها على
غاربها وهي تحسب أنها لا تمد وما كان يصنع أبوها .

فأشار بيده إشارة المستنكر : « لالا لالا ...
هذا كان سوء تفاهم . . أعنى أنى كنت فرغت من
اللمب بالدودة وظننت أنك قد يسرك أن تأخذها
لتلعب بها ، ولكنى أخطأت فوضعتها لك في
قفاك بدلاً من يدك ... بل كان الخطأ منك لا منى ،
فقد جمعت تجربين خائفة وأنا أجرى وراءك فلم
يسمى إلا أن أتركها لك في حيث تيسر لى ذلك
فألذنب لك يا جليلة »

فقلت جليلة وهي تضحك : « أتذكر كيف
كنت تصيح بأعلى صوت كلما رأيتنى ؟ وكيف
كنت تجرى ورأى وتدبب برجليك كلما أدر كنتى
تزيدنى رعباً ؟ »

فقال : « نعم أذكر ذلك ... أذكر كل شيء ...
إنه كل ما بقى لى منك ... لقد كنت أصبح وأدب
لأخفى عنك حبي لك »

فقلت : « غريب ... أ كنت تحبى ؟ ...
لقد كان نجاحك تاماً إذن في إخفاء هذا الحب »
ونظرت إلى وجهه الذى لوحته الشمس ،
وشمره الذى ظهر فيه الشيب هنا وهناك وأخذت
الصورة القديمة تسترد ألوانها وتبرز معالمها شيئاً
فشيئاً ثم قالت : « لقد كبرت جداً ... طويلاً
وعرضاً ... وتغيرت أيضاً ... من الذى يراك
الآن فيذكر بك ذلك الطفل الشق الذى كان يسود
عيشى ويرعبنى كلما ظهر لى فجأة من وراء شجرة ...
أو من تحت الأرض فيما كان يخيل لى ... ماذا
صنعت بنفسك كل هذه السنين ؟ »

فقال : « أوه ماذا يصنع الناس بنفوسهم ؟
يكبرون ويقومون على عمل يشتغلون به . . أما أيضاً

الراسخان كالرمانتين الصغيرتين ، وتكاد من فرط البراعة في انسجام الثوب على الصدر ترى الحلمتين ترفعان الثوب ، وتبصر استدارة السرة وحسن اللحوق فيما حولها . وكانت مجدولة الساقين لا عظيمة المضلة ولا مضطربتها ولا عرقوب لها . وجمال الساق في المرأة بشير بحسن القوام . وكانت تكبره الأحذية العالية الكعوب نفوراً من بروز الفخذين . على أن هذا كله ما أكثر من يشاركنها فيه . ولو اقتصر الأمر على التكوين المادي لما كانت لها منزلة تنفرد بها ، ولكن أنوثتها كانت قوية الجذب شديدة الاغراء فلولا استقلالها وشخصيتها لما استطاعت أن تنجو من المعاطب

وقال مراد وهو عاكف على البيان الذي قدمه إليه الخادم : « معذرة فاني أتضور جوعاً ... لم آكل في سهارى شيئاً ... ماذا تريدن ؟ . كباب ؟ . لحم رأس ؟ . حمام ؟ . إني أرى الخافى عنده كل ما يؤكل ... لا الكباب وحده ... ما قولك ؟ »

فأثرت الكباب وقالت : « إن هذا فنه الذي يمتاز به فيحسن أن أقصر عليه »

وكانا جالسين في آخر القاعة ووجهها هي الى الباب ووجهه الى الناس . وشغلا برهة بالأكل وذكريات الطفولة فقال لها وهو يضطجع : « أذكركن يوم تحدثت أن تتساقى النخلة ... (فهزت رأسها) لقد كنت لا تطيقين التحدى ... فهل أنت ما زلت كذلك . ؟ »

فوضعت الشوكة على الطبق ونظرت اليه وسألته : « ماذا تعنى ؟ »

قال بابتسام : « أعنى أن وراك ... بعد مائتين

على أن الفتاة لم يكن فيها سوء ولم تثمر الحرية شراً وإعماً أكدت استقلالها وأورثتها عمداً صريحاً على كل قيد من القيود التي يفرضها المرف حتى على الفتاة الحديثة . وكانت أمها وبعض أهلها يشق عليهم ذلك أحياناً فتقول لهم : إني لأفعل سوءاً ولا أسىء أدبى ولا أتوقع على أحد ولا قيمة لخروجه وحدي أو مرافقة أصحابي وصواحي إلى السينما أو غيرها لأنى أستطيع بسهولة وبلا عناء أن أحافظ على نفسي . فكانت أمها تسكت ولا تقول شيئاً لعلها أن الكلام لا خير فيه

ولم تكن جليلة بارة الحسن ولكن صوتها كانت له حلاوة التفريد ، وكانت نظرتها الحاملة تفعل فعلين بيدوان متنافضين - تمنش القلب وتغتر الجسم ، فاذا أدامت إليك كرة الطرف - على عادتها إذا سرها منك عمل أو قول - شاع الرضى في نفسك وفاضت بالسرور ودار رأسك وأحسست بالخدر في أعضائك . وكانت أقرب إلى القصر منها إلى الطول ، وإلى الامتلاء منها إلى النحافة والهزال ، وقد حمتها كثرة الحركة والولع بالشئ في الهواء الطلق وغطام النفس عن الآكال الدسمة الثقيلة أن تصبح كأنها أكاداساً من اللحم تلج على روحها ؛ وكانت سمراء ولكن سمرتها مشربة حمرة لا كدرة فيها ولا غمش . وكان شعرها جمداً وأبيضاً وحفماً ، وكانت تفرقه وترسله إلى الوراء وتنعقسه وتأنى أن تقصه . وكانت أنيقة بلا تكلف ، ولم تكن رقيقة الحال أو مضطرة الى حسن التدبير والاقتصاد فقد ترك لها أبوها الحازم ثروة كافية ولكنها كانت تؤثر أن تصنع ثيابها بيديها فتجىء بمبوكة التفصيل على قدها الجميل يبرز من تحتها ثدياها الناهدان

اثنين ... رجائين أحدهما يحدق في ظهرك ...
لا يخالجنى شك في أنك تحسین وقع نظرتي على
جسمك ... انها نظرة حامية ... كاوية ... انتظري
قليلاً وسأدعو الخادم ليجيئنا بالقهوة فأدبرى وجهك
حين يقبل وانظري ... »

فعملت ثم اعتدت في جالسها وقد علا وجهها
الاصفرار، فأكب مراد على بقية الفاكهة وتشاغل
بها عما رأى في وجهها من دلائل التغير . ولم
تفت جائلة هذه الكياسة منه ووقع من نفسها
انفاؤه الفضول فلما سكت وضبطت صوتها وهي
تقول : « لقد تغيرت جداً ... من كان يظن أن
ذلك الطفل الخبيث الذي كان يتعقبني وينقص حياتي
يصبح هذا الرجل الوديع الطاريف الكيس ؟
أتعرف من هذا يا مراد الذي يكونني بنظرانه ؟ ...
إنه خطيبي زكي ... أفهمت الآن ؟ »

فقال هدهود وبصوت مترن النبرات : « خطيبك ..
زكي ... هذه أخبار ... أظن أن من واجبي أن
أقدم لك التهنئات »

ولكنها أحست من نبرات صوته على الرغم من
أزائها أن هذا الخبر لم يسره فقالت : « لا داعي
للمعجب ... ثم إن الزواج مسألة عادية جداً على كل
حال ... أو كما يمكن أن تقول أنت ... هو شر
يصيب كل إنسان ... عاجلاً أو آجلاً ... متى
يصيبك يا مراد ؟ ... »

فقال : « أما ؟ ... لا أدري ... صاحبك ...
أعني خطيبك لا يزال محملاً في ظهرك ... فهل
تستطيعين أن تهضي وتذهبي إليه وتقول له بكل
هدوء إن لك حقاً في أن تتناولى العشاء مع صديق
قديم مثلي وضع في طفولته دودة في ظهرك ، وصيبت

عليه عشرين قرينة من الماء في الشتاء ؟؟ »
فقال ببساطة : « إنى أحب زكى ... وأنت
لا تعرفه ... بالطبع ليس في كونى معك هنا ما ينبغي
أن يسوءه ، ولكنه لا يعرف أنك هذا الصديق ؟
كل ما يعرفه أنه خطيبي ... وأنى - كما قال لي
مراراً - طائشة ... مندفة ... »

فقال مراد : « اشربي القهوة ... لا تفسدي
على نفسك الليلة ... ستشرحين له كل شيء ...
فيعود حملاً وديماً وبعثذر اليك من هذه النظرات
الحامية ... »

فشربت القهوة ولكنها كانت ساهمة ، فقد
كانت تحب « زكى » هذا وكانت تكره الاضطراب
الى الشرح وتستغفل أن تحتاج حتى الى ما يشبه
الاعتذار .

وقال مراد : « لقد قام الرجلان ... خطيبك
وصاحبه ... »

فقال : « يحسن أن تقوم إذن ... فسيودع
صاحبه ولا شك وبقف في انتظاري ... أشكرك
يا مراد ... نهيتني الى أنه خرج ... فلألحق به .
وخرجت . وودعها مراد بمد أن عرفت منه
عنوانه وعرف منها عنوانها وألح عليها أن تتصل به
إذا جد أمر من جراء لقائهما الليلة .

وقالت جائلة لزكى : « متى سيأتى فلا حاجة
الى تأكس »

فدخل فيها واضطجع ثم قال : « من هذا
الرجل الذي كان معك ؟ »

فقصت عليه ما وقع لها عند المطار ؛ فقاطعتها
وقال : كيف تسكمين رجلاً غريباً ؟ ... إن هذا
كثير ... »

حمد - من أصل تركي أو شركسي - سبان -
 وكان بطمع أن يبلغ بماله الموروث حيث لم يستطع
 أن يبلغ بالكفاية الشخصية ، وكان أمه الذي
 لا ينفك يحلم به في البقطة والنسائم أن يصبح
 يوماً من أعضاء البرلمان ، ومن أجل هذا كان
 يتقرب الى الزعماء السياسيين بوسائل شتى ، وكان
 يعنيه جداً أن يحسن رأيهم فيه وظهرهم به ، وكان
 يحرص على المركز المأمول ويحيط نفسه سلفاً بكل
 مظاهر الآبهة والسمت والوقار وينظر الى الأمور كلها
 كأنه واقع ، وينتظر من الناس أن يعدوه كذلك ، بل
 أن يبالغوا ويروحوأ يعدون بصرفهم الى المستقبل وأن
 يخالوه كما يتخيل نفسه فيه وزيراً أو رئيس وزارة .
 وقال لجليلة وهو يودعها على باب بيتها : « أرجو
 يا جليلة ألا تعرضيني لكلام الناس ، وإذا كرى أن
 لي مركزاً يجب أن أحافظ عليه » .
 فسحبت يدها من يده وقد آلمها كلامه وأحست
 أن سهماً وقع في قلبها . وكانت حساسة وذكية .
 ولم يكن يخفى عليها أن ليس له مركز سوى ما يفيد
 الغنى ، ولم تكن هي محتاج منه الى مال فإن مالها
 كثير . وكانت تدرك أن ما يسميه « مركزه »
 جانب ضعف فيه ولكنها تفض عن ذلك لحبها له ؛
 غير أنها لم تكن تتوقع أن يتهمها بأنها تسيء الى
 هذا المركز - وإن كان موهوماً - فضلاً عما
 تنطوي عليه عبارته من التعريض بها بما أن شريحت
 له الأمر كله ولم تخف عنه شيئاً . وماذا تخفى وليس
 في الأمر ما يستدعي السكتان ؟

وقالت له وهي تهم بالدخول : « أياك سميدة »
 فسألها : « متى نلتقي غداً ... »
 فأطرقت شيئاً ثم رفعت رأسها وألقت إليه

قالت : « ولكنه ليس غريباً ... لقد نشأنا
 معاً ... في حي واحد ... » .

فنفخ وقال : « ولكنك لم تكوني تعرفين أنه
 هو صديق طفولتك ... » .

فقالت بلهجة المستغرب : « هل كنت تريد
 أن أتقبل معونته ولا أشكره على الأقل ؟ ... » .

فترك هذا وقال : « ولماذا تخرجين الى هذا
 المكان وحدك ؟ »

قالت : لأنك مشغول عني بأعمالك الكثيرة
 التي لا تدع وقتاً لمرافقتي ... ومع ذلك أى بأس
 هناك ؟ » .

قال : « بأس ... بأس ... هذا الذي حدث
 لك من غوص المجلة أليس بأساً ؟ » .

قالت : « لا تكن متممناً ... إن السيارات
 يمكن أن يحصل لها أى شيء في أى مكان في الدنيا » .

فترك هذا أيضاً وقال : « ولكن تأنين معه
 الى الحاني ... ماذا يقول الناس ؟ » .

فقالت : « إذا كان الحاني مكاناً لا يليق أن
 يدخله الشريف ... » .

فقاطعها بسرعة وقال : « لست أقول هذا ...
 الأمر على العكس ... » .

قالت : « إذن انتهينا ... » .
 فسكت فما رأى حجة له تنهض . وساء ذلك

فقد كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكان عظيم الطموح
 واسع الأمل في المنازل المحفوظة فلم يسره أن الفتاة

التي سيتزوجها تقرر حجته بأقوى منها ، وأحس
 أن في هذا نقصاً له وغضاً من مقامه وسقوطاً لهيبته

ولكن الكلام خافه فآثر السكوت على مضض .
 وكان زكي - أو إذا أردت اسمه كله زكي الدين

وحدها وأن تدور دورة في الهواء الطلق وتمشي قليلاً عسى أن ينفعها ذلك فيمضيها من الشمور بالانقباض والفتور . وإنها في بعض الطريق إذا بها ترى مراداً يمشي بسرعة كأنما يريد أن يدرك موعداً ، فوقفت وأشارت إليه وقد أحست أن جسمها قد صار أخف مما كان . فجاءها بمدو فسأته : إلى أين ؟ ... »

فلم يجب عن هذا السؤال ولم يلق إليها تحية بل ركب وهو يقول : « أرانا نلتقي في هذه الأيام ؟ حسن هذا ... أليس كذلك ؟ » . فأعدها ما في وجهه من البشر وقالت ضاحكة : « غريب هذا ... تمضي سنوات لا نلتقي فيها مرة واحدة وفي أربعة أيام نلتقي مرتين » ، فقال : « لا تغالطي يا فتاتي ... ليست هذه مصادفة » .

فنظرت إليه مستغربة وسأته : « ليست مصادفة ... ؟ »

فقال وعلى فيه ابتسامته الوضيئة التي لا تفارقه « كلا ... ليست مصادفة ... إنها إرادتي سلطتها عليك لجذبك إلى حيث أنا ... نعم » . فعاد إليها إشراق وجهها واطمأنت وقالت : « أوه ... آه ... إرادتك ؟ . طبعاً »

فقال : « لا تمزحي ... إني أنكلم جاداً » فرمت إليه نظرة سريعة فألفته لا يزال يبتسم فحوت وجهها إلى الطريق وقالت : « هذا بديع .. تكلم ... إن أذن لك »

قال : « نعم ... إرادتي ... لم أزل منذ عشر سنين أربي هذه الإرادة فهل تستغربين أنها بلغت من القوة هذا الشأو ! . بالطبع لا ... وأنت أول

ابتسامه ساخرة وقالت : « غداً ؟ لا ... إني على موعد مع مراد ... » .

ودخلت . وتركته وافقاً وفيه مفتوح . ولم يكن ثم موعد ولا شبهه ؛ وإنما قالت ما قالت مدفوعة إليه بضجرتها وألمها .

ولم تحاول أن تلتقي بمراد في اليوم التالي فقد كانت تدرك أن هذا لا يكون منها إلا خرقاً وحماسة فلزمت بيتها إلى المساء ثم خرجت في سيارتها على عادتها وجالت بها جولة قصيرة ثم ردت بعض الزيارات وعادت فلزمت غرفتها ، وكان الألم لا يزال يحز في نفسها فساء نومها واضطرب . وذهب يوم وجاء يوم ولكنها أحست ثقلاً في جسمها وفتوراً فبقيت في فراشها وأوصت أمها أن تمنع أن يزججها أحد - حتى ولا زكي - فشمرت الأم أن في الأمر شيئاً ، ولكنها حدثت نفسها أنه خلاف لا يلبث أن يزول . وجاء زكي يسأل عن خطيبته فمرفت الأم أنه لم يلقها منذ يومين ، فأظهرت تعجبها وزلت فقالت إنها كانت تحسب أنها لا تخرج إلا للقائه ، وزل زكي أيضاً فقال لها إن جائلة خفيفة وإن خفتها تسيء إلى مركزه ، وإنه كلما في ذلك فغضبت ولجت فيما نهاها عنه ، فهو يرجوها أن تكبجها قليلاً فما يليق أن تترك هكذا حبلاً على غاربها . وعرفت جائلة هذا الذي دار بين أمها وبين خطيبها فدهشت له ولكنها لم تغضب ولم تنر بل كان من الغريب أنها أحست كأنما وضع لها في مكان القلب قطعة من الثلج .

وجاء العصر فركبت سيارتها وخرجت بها إلى مصر الجديدة . وكان كل منهما أن تكون هي

نتمشى ... ودعى السيارة فان بخطفها أحد »
وقطعا مسافة وهما سامتان ثم وقف والتفت
إليها وقال : « اسمي يا جارية ... إني أعتمد على
ما تخوأي صداقتي القديمة من الحق في الصراحة ؛
عشرون قرية من الماء يحمل لي هذا الحق ... أريد
أن أقول إني تحاشيت في مقابلتنا الأولى أن
أكشفك بما أضمر لك من الحب كل هذه السنين
الطويلة ... لأنك قلت عرضاً إنك مخطوبة ...
ولكن وجه المسألة تغير اليوم بعد أن سمعت منك
ما قال هذا البغل »

فقاطعت ضاحكة : « اذكر أنه خطبني ...
لا يزال خطبني ... وأنى قلت لك إني أحبه »
فقال : « لم بعد هذا يعني ... استأحاول
أن أصرفك عنه ... كلا ... ولكنه لم يبق لي بد
من أن أقول لك إني أحبك ، وأنى أحبك مذ
كنت طفلة وكنت أعابك وأكيدك وأصرخ في
وجهك ... وكان هذا مظهر حبى الصبيان ...
أما الآن فان مظهره أنى مستعبد أن أذهب الى
خطيبك هذا وأخنقه بيدي هاتين ... »
فقال ضاحكة : « لقد توهمت لحظة أنك
صرت أرق »

فقال : « كلا ... أما كما كنت ... واسمى
ولا نقاطى وإلا بحثت عن دودة ووضعتها لك في
قفاك ... إذا حدث يوماً أن صار الدكان للبحار
فأخبرني ... »

فقال : « لغة التاجر أيضاً ... ولكنى
سأستعيرها منك ... أتق أنك مفضل عندي على
كل مستأجر لهذا الدكان إذا خلا يوماً من الأيام .
لم يكن يخطر لي أن هذا ما تنطوى عليه ... ومن

من ينبغي أن يكون من تلاميذى المؤمنين بي ...
من حوارى ... هه ... وسأفتح بك العهد
الجديد ... »

وبلغا آخر الطريق الى المطار من ورائه فجلا
على سلم السيارة وأخرج مراد سيجارة وذهب
يدخن في سمته ، فلما طال ذلك التفت إليه وقالت :
« إنك لا تسألنى ما ذا حدث »

فلم يحول وجهه إليها وأدرك من كلامها أن
شيئاً لا بد أن يكون قد حدث ، ولم يشأ أن يتطفل
عليها بالسؤال فاكتمى بأن يقول : « إن أذى لك ...
أعزناك السمع »

فقلت : « إنك قليل الفضول »
قال : « لأنى مشغول عنه بما فى نفسى ...
الدكان خاصة ... لا تحتل زيادة »
فقلت : « لغة التاجر ... اسمع ... غضب
زكى ... أوه ... غضب جداً ... لم يقل شيئاً
كثيراً ... كل ما قاله أنى خفيفة طياشة وأنى
أسىء بسلوكى الى مراكزه »

فانتفض مراد واقفاً وقد نجهم وجهه ورى
السيجارة ثم التفت إليها وقال بلهجة صارمة :
« من يكون زكى هذا ... »

وكبح نفسه عن الاسترسال ورد لسانه بجهد ،
وضبط أعصابه وعاد الى مكانه من السلم والتفت إليها
وقال وقد وسمه أن يبتسم مرة أخرى : « معذرة
ليس لي حق ... قولى إنك صفحت عني »

فسرها منه أنه غضب لها وفارت نفسه
بالسخط على خطيئها من أجهالها فقالت له بركة
« أشكرك ... إننا صديقان قديمان ... »

فقال لها وهو ينهض مرة أخرى : « قولى

فتاة مثلها فكأنهم حبه وطواه في صدره ، وسأل الله الممونة على احتمال اليأس المحاصر ؛ وهو ظريف كيس لبق دائم البشر واسع الإدراك رحيب الأفق حلو الفكاهة . وزكى الفنى الذى لا يزال مهموماً بمركزه التخيل ، والذى لا يتقى في سبيل الحرص عليه أن يجرح قلب فتاة ، ويتهمها بالخفة والطيش في سلوكها ، وبأن سيرتها توشك أن تسيء الى مركزه الوهم هذا . وقد أحبته ... هذا صحيح . ولكن عينها فتحت فهي تراه الآن على حقيقته ، وليس يسعها إلا أن تفكر في حياتها معه كيف تكون إذا كان كل ما يباليه في الدنيا هو هذا المركز . . . ولكنها خطيئته وقد قبلت أن تكون زوجته ... فما العمل الآن ؟

وسألت نفسها ... أى الرجلين أحب إليها ؟ وحيرها الجواب ... فهل هذا الذى تشمر به لمراد حب ؟ - إن يكن هذا فهو هادى جداً ... أما زكى فإن الدكان كما قالت لمراد مرحومة ... صحيح أنها مرحومة بما لا قيمة له - كما ظهر الآن - ولكنها مرحومة ... فهل نخلو يوماً ؟ . هذه هي المسألة ... وإلى أن نخلو لا سبيل الى شيء ...

ولو أن زكى ذهب إليها في ذلك الوقت ولطفها وثأفها وضاحكها ومازحها واعتذر إليها ، ولو كانت هي في رأيه الخطئة ، لعادت المياه إلى مجاريها كما يقولون ولارتفعت قيمة ما في الدكان وارتدت إليه نفاسته ، ولكنه أراد أن يلقيها درساً فأعرض أياماً وجفاها وانقطع عن زيارتها ، ولم يكفه ذلك بل أرسل إليها خادمة تبلغها بحياته وتسالها باسمه عن صحتها ، وأوصاها أن تخاف مناسبة لتقول لها إن سيدها يكثر في هذه الأيام من زيارة بيت خالته

التي تتصور أن وضع الديدان في قفاها يكون علامة حب ؟ ولكنك كنت دائماً غريباً ... على كل حال ... المسألة المهمة أن الدكان مرحوم ... ليس خالياً ... خرجت أستبضع فامتلاً ... صحيح أنه امتلاً بأشياء لا قيمة لها ... ولكنى لم أكن أعرف أن ما غص به عديم القيمة ... المهم أنه ممتلئ ... وأظنك تدرك أنه مادام مملوءاً فلا مكان هناك الجديد ... يجب الصبر حتى أخليه مما فيه ... هذا يحتاج الى وقت ... ومن يدري ؟ ربما كان الاخلاء أصعب من اللئ ... ولكنك تفهم وتعذر ... فقال ببساطة وهدوء : « لا بأس .. لا بأس .. إن دكاني أيضاً مرحوم ... ولكنه مرحوم بالنفيس الغالى ... واست أريد أن أخليه ... لا أستطيع أن أخليه حتى لو أردت ... وهيهات أن أريد أو أستطيع ... إنه مكتظ منذ خمس عشرة سنة . وسيظل مكتظاً طول العمر ... وقد عرفت أن مفتاحه معك ... في يدك ... فادخلي حينما تشائين وعسى أن تشأني ... عديني أن تحتلي مكانك من الدكان بعد أن تفرغي من أمر دكانك ... وفي أثناء ذلك نبقى كما كنا دائماً ... صديقين جيمين »

ولم يسع جليلة إلا أن تفكر في أمر الرجلين : مراد الرجل الذى تعرفه منذ الطفولة والذى كان يسود عيشها بعمقه لأن هذا كان تعبيره الخاص عن حبه لها ، وقد ظل بعد ذلك يحبها ، ولكنه أحجم عن طلب يدها لرفق حاله بالقياس إليها ، وقد صار تاجراً ، ولكنه لم يثر لأنه لا يربح إلا الكفاية ، ومن هنا إحجامه الى الآن عن خطوبتها كما حدثها ؛ وقد زاد على ذلك أنه كان لا يتصور أن ترضى به

به سنين وسنين .. وتمجبت لسرعة استيلاء مراد على هواها فما لقيته إلا مرتين بعد طول الانقطاع والغيبه . فهل هذا هو الحب الذي يقال عنه إنه يكون من أول نظرة ؟ .. أم تراها كانت تحبه منذ عرفته وهي لا تدري ، وكان حبها له رافداً كامناً ينتظر فرصة للظهور ! لاشك أنها كانت تحبه . كذلك قالت لنفسها وهي راكدة على سريرها بعد الغداء . نعم كان يقسو عليها ويركها بالزاح المتعب ، وكان يحتجب لها وراء الأشجار ثم يفاجئها بصرخة ترعها فيضحك ويقهقه . وكان يجري وراءها حتى تنقطع أنفاسها وتقع من الأعياء .. فيحملها ولكنه لا يرحمها ولا يترفق بها بل يروح يقرصها ويعضها فتصرخ وتصيح وهو يضحك ولا يبالي ... ولم تستطع أن تنتقم منه إلا مرة واحدة حين أرسلت عليه خرطوم الماء فأغرقتة فجعل ينتفض من البرد ، ولكنه كان يضحك مع ذلك ولم يسخط عليها ولم ينطق بكلمة تشي بالألم أو النعمة أو الغضب ، بل احتمل ذلك . ولما راق له قلبها وأقبلت عليه بالاعتذار إليه وطالب الصفح منه لم ينس دمايته وعبثه ، ونبحها كما يفعل الكلب « وَوْ .. وَوْ » ففزعت فما كانت تتوقع شيئاً من ذلك ، ومضت عنه مغيفة محنقة معتقدة أنه شر صبي في الحارة ؟ وكان هو يقهقه وينطوي من شدة الضحك غير عابىء بالماء والبرد ، فيا لله ما أقواه .. ومع ذلك كانت لا تلعب إلا معه ، وإذا أقبل عليها غيره من الصبية نفرت ... نعم لاشك أنها كانت تؤثره ... وإساذ لا تقول إنها كانت تحبه ؟ صحيح أنها لم تكن تعرف ما الحب ولكنها تعرف الآن فقد صارت خبيرة مجربة فلماذا لا تسمى الشيء باسمه الصحيح ؟

— وكانت لها بنت في مثل سن جلييلة — ايثير غيرتها وإشفاقها من أن يطير المصفور من يدها فأفلح والـكن في استئثاره نغمتها عليه ، فقالت لنفسها إن رجلاً يهينها ويعرض بها ويرميها بأن سلوكها من شأنه أن يسيء إلى سمعتها وأن يضرب بمركره ، ثم لا يحمل هذا بينه وبينها بل يفضي به إلى أمها ، ثم لا يكفيه هذا بل يجفوها ، ثم يترقى في تمعد الاساءة إليها فيرسل إليها خادمة تبلغها أنه انصرف عنها إلى سواها — مثل هذا الرجل خير له ولها أن يثبت ما بينهما ..

على أنها لم تتمجج وإن كان عزمها قد صح على الفراق فقد كانت شديدة الثقة بنفسها والاعتداد باستقلالها وإرادتها الحرة ، فلم تر ما يدعو إلى المجلة بعد أن انتوت أن تفهم العروة واستوى عندها أن يكون ذلك يوم انتهت إلى هذا العزم وأن يكون بعده بأيام أو أسابيع ، فقد كانت واثقة أنه ما من شيء يستطيع أن يحولها عنه . وصار عجبها أن الدكان خلا بسرعة مما كان ينص به . ولم تكن تلقى في تلك الأيام مراداً لأنها أرادت أن تختبر نفسها وتجسها لتعرف ما تنطوي عليه له ، فأدهشها أنها تحس وحشة وأنها تشتهي أن تكون معه وأن تستعيد ما تشمر به في مجاسه من سكينه النفس واطمئنان القلب والرضى الهادي . وزاد شوقها إليه أنها كتبت الامر كله عن أمها فلم يكن هناك من تبثه ما في نفسها ، ولو كان مراد إلى جانبها لكان خليفاً أن يفهم ويعطف وأن يسري عنها بفكاهته التي لا تحونه ، وأن يعيدها بقوة التي تجمله لابنسي أن يضحك وهو يجمع في أمه الذي عاش

فامتقع لونه واسكنته تجلد وقال : « متى إن شاء الله ؟ لست أطمع أن أدعى ولكنى أريد أن أحترف بليلة الجلوة وبسرورك فيها . وحدى »
فسأله بنجث : « وحدك ؟ »

فقال : « نعم . إن يكون مئى سوى خواطرى »
وأدار وجهه إلى الباب ليخفى زفرة يملو بها صدره ثم التفت إليها وقال : « متى يكون هذا ؟ »
فرفعت إليه وجهاً مشرقاً ونظرت إليه نظرتها الحاملة وقالت : « متى تريد أن يكون ؟ »
فقطب وقال : « إيه . ؟ »

فأعادت سؤالها : « متى تريد أن يكون ؟ »
فحدق فى وجهها - فى عينيها - ثم صاح وقد قطن إلى ما تمنى وانحنى عليها فرفمها بيديه عن الكرسي غير عابىء بالمال والزبان وأهوى على فمها باللمات ثم ردها إلى الكرسي وصاح بأحد رجاله :
« إذهب . إذهب . حالا . حالا »

فوقف الرجل كالأبله لا يفهم ، ولا يدري أين يريد منه أن يذهب فصاح به :
« هات المأذون .. ألا تعرف المأذون يا أبله ؟ »
إذهب .. حالا .. »

فوقفت جليلة وأقبات عليه تسأله : « ماذا تعنى ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فقال : « ماذا أعنى ؟ .. ياله من سؤال ! .. نعتقد المقدس .. هنا .. حالا .. فى الدكان .. هذا ما أعنى .. رجالى وزبائنى شهودى .. شهود سعادى لقد كان التجار فى الزمن السالف يجيئون رجال يقفون على أبواب الدكاكين ويدعون للسارة أن يدخلوا ويرينون لهم البضاعة .. وقد انقضى ذلك الزمن وحلت الاعلانات فى الصحف محل هؤلاء

وارتدت من الماضى إلى الحاضر وذكرت كيف غاصت مجلتها فى الرمل ووقفت حائرة وإذا به يظهر كأنما شق الأرض وخرج منها - كما كان يفعل وهو صبي - وينطرح على الأرض بلا كلام أو سؤال ولا يبالي ما يصيب ثيابه ، ويجرف الرمل بيديه الكبيرتين ويحمل الحجارة ؟ بفعل كل ذلك ولا يرفع عينه إلى .. ثم يعرفنى فيتألف فى تذكري بنفسه . ويتظاهر بنسيان اسمى وهو منقوش محفور فى قلبه .. وتنازعه نفسه أن يقضى إلى بحبه فيشير إليه من بعيد فى معرض الكلام على ذكريات الحداثة . ويعرف أنى مخطوبة فيفقد كل أمل ولكنه يتجلد ويتكاف الا بتسام ويمضى فى مؤانستى بمحبتته كأنما لم ينهد كيانه ولم يتقوض بنيانه . وهل أنسى كيف تار وانتفض حين رويت له ما أهاننى به زكى . ؟ لقد كانت وثبته تلك حسى دليلا على عمق ما يجن لى من الحب . ومع ذلك أبت له الكياسة والأدب إلا أن يكبح نفسه ويردها عن النيل من زكى مخافة أن أكره ذلك منه ..

وظلت تناجى نفسها على هذا النحو ولا تكتحل عينها بنمض حتى كان العصر فقامت ولبست ثياب الخروج واستقلت سيارتها الصغيرة إلى دكان مراد فأقبل عليها يرحب بها فقالت له :
« أنت أولى من الغريب »

فابتسم وقال : « آه .. أهو ذاك ؟ »
قالت : « نعم . أريد شيئاً من الحرير .. قطعاً كثيرة . ألوانها شتى . الوقت ضيق . »
فقال : « الوقت ! لست فاهما شيئاً . »

قالت : « ألا تعرف أن المروس يحتاج إلى ثياب كثيرة ؟ »

الطيارة ، فإذا يمنع أن تزوج في الدكان ، فقالت إنه فرق ساعة ، والمسافة إلى البيت لا تستغرق زمناً ، فأبى أيضاً ، وقال إنه يخاف عليها أن تطير وتتسرب في الهواء كلا . . . لا بد أن يكون المقعد هنا

وراقها هذا الجنون وأرهف خيالها فرضيت وتزوجا في دكان

وقالت له وهما خارجان : « نسيت أن أقول لك إنني وجدت أن الدكان لم يكن خالياً قط . . . كان مافيه مخزونا من أيام الصبي ، فلما أدت عيني فيه عرفت ولهذا جئت »

فقباهما على باب الدكان

ولم يستح الرجل !

إبراهيم عبد القادر المازني

المنادين والكنى اليوم سأقف بالباب وأدعو الناس . . كل الناس أن يدخلوا لا يشتروا بل ايشاركوني في سمادتي . . لماذا لم يجيء المأذون . . إذهب أنت وراءه واستمعه »

و فرحت جليلة بهذا الجنون وحجبت أيضاً — أفرحها أن عقله استطاع من فرط الجذل ، وأخجلها أن كل هؤلاء الناس من العمال والزبائن برونها ، وأن عيونهم جميعاً عليها ، وأنهم يفحصونها ليعرفوا سر هذا السحر الذي ذهب باب الرجل الذي ألغوا منه الرزاة والسكينة والظرف والعقل . . ولم تكن تقدر أن يفعل ذلك وأرادت أن تستمعه فأبى ، فافترحت أن يذهب بالمأذون إلى البيت فأبى أيضاً ، وقال إن ناساً في هذا الزمان يتزوجون في

بنك مصر

يا عدمكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التخفيض المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسي

بالقاهرة . وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون